تفنيد الروايات التوراتيّة الخاصّة ببدايات التواجد اليهودي "في مدينة القدس في التاريخ القديم"

Refutation of the biblical narratives of the beginnings of the Jewish presence in the city of Jerusalem in ancient history

الأستاذ الدكتور:

أسامة محمد أبو نحل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة الأزهر – غزة (فلسطين)

osamabunahel@hotmail.com

الملخص

لم يتعرّض تاريخ بلدٍ من البلدان على مرِّ العصور للتزوير والتحريف، كما تعرّض له تاريخ فلسطين، وفي القلب منها مدينة القدس، وذلك حسب أهواء الباحثين الذين تناولوه، سواء أكانوا ساسة، أو منقّبين عن الآثار، أو مثقّفين، خدمة للمشروع الصهيوني بضرورة عودة اليهود إلى ما أسمَوه بـ (أرض الميعاد)، وإعادة بناء ما أسمَوه بـ (هيكل سليمان). ويبدو أنّ كتابات هؤلاء الباحثين اعتمدت في الأساس على ما ورد في أسفار العهد القديم، وخصوصًا الأسفار التي أُضيفت للعهد القديم بعد وفاة موسى عليه السلام، والتي دوّنها كهنة بني إسرائيل بعد وفاته بقرونٍ عدّة. ففي هذه الأسفار وخصوصًا سفري صموئيل الثاني والملوك الأول، تعمّد كتّابهما تلفيق أعمال بطوليّة تمَّت نسبتها لداود وابنه سليمان عليهما السلام. فقد نُسب لداود استيلاؤه على مدينة القدس واتخاذها عاصمةً لحكمه، ثمَّ نُسب لسليمان أنه ابتنى معبدًا للربِّ في هذه المدينة. لكنّ الدراسات الحديثة فنّدت هذه الادّعاءات، وأثبتت بما لا يدع مجالًا للشكّ أن لا أساس لها من الصحّة.

وقد اعتمدت الدراسة على منهجين رئيسين، هما: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، وذلك لبيان قيمة تفنيد الروايات الخاصّة بالتواجد اليهودي في مدينة القدس في زمن داود تحديدًا، وأثبتت أنّ بدايات التواجد اليهودي في المدينة المقدّسة كان في فترة الحكم الفارسي لفلسطين، وإنْ كان تواجدهم خلال هذه الفترة وما تلاها لم يعدُ حصولهم على حكمٍ ذاتيٍّ.

الكلمات المفتاحية: الروايات التوراتية، التواجد اليهودي، فلسطين، مدينة القدس، الدراسات الحديثة.

Abstract:

Throughout the ages the history of any country has not been subjected to forgery and distortion as has the history of Palestine with the city of Jerusalem at its heart according to the whims of the researchers who dealt with it whether they were politicians Archaeologists or educated in the service of the Zionist project of the need for the Jews to return to what is they called it (the Promised Land) and the rebuilding of what they called (the Temple of Solomon). It seems that the writings of these researchers were based mainly on what was mentioned in the books of the Old Testament especially the books that were added to the Old Testament after the death of Moses peace be upon him and which were codified by the priests of the Children of Israel several centuries after his death. In these books especially the second book of Samuel and the first book of Kings their writers baptized fabricated heroic deeds that were attributed to David and his son Solomon peace be upon them. It was attributed to David taking possession of the city of Jerusalem and taking it as the capital of his rule then it was attributed to Solomon that he built a temple to God in this city. But recent studies have refuted these allegations and proved beyond a reasonable doubt that is unfounded.

The study relied on two main approaches: the historical approach and the analytical descriptive approach in order to show the value of refuting the narratives of the Jewish presence in the city of Jerusalem in the time of David specifically and it proved that the beginnings of the Jewish presence in the Holy City were during the period of Persian rule of Palestine although their presence during This period and what follows were no more than autonomy.

Keywords: Biblical narratives the Jewish presence Palestine the city of Jerusalem modern studies.

المقدمة:

أولاً: أهمية الدراسة:

تتناقض بعض الدراسات الحديثة التي تناولت بدايات التواجد اليهودي في مدينة القدس خلال التاريخ القديم عمّا أوردته الروايات التوراتية في الموضوع نفسه. فإذا كانت الروايات التوراتيّة قد أكّدت أنّ أول تواجد لبني إسرائيل في مدينة القدس كان في زمن داود عليه السلام؛ فإنّ بعض الدراسات الحديثة أثبتت بِما لا يدع مجالًا للشكّ أنّ مدينة القدس لم تخضع لحكم داود ولا لحكم بني إسرائيل، وأنّ المدينة خضعت لسيطرة بني إسرائيل خلال فترة الحكم الفارسي لفلسطين، وليس قبل ذلك التاريخ.

إنّ جميع ما أتينا عليه لم يأتِ فجأة؛ بل تمَّ التخطيط له بعنايةٍ ودقةٍ فائقتين، خصوصًا في زمن الكاهن عزرا الذي أخذ على عاتقه مَهمّة بداية كتابة العهد القديم، بناءً على توجّهات استيطانيّة في فلسطين عمومًا، ومدينة القدس على وجه الخصوص، حيث كان يعمل في بلاط الملك الفارسي أَرْتَحْشَشْتَا الأول، الذي كانت لديه أطماع استعماريّة في مصر، فتلاقت مصالحهما معًا- على ما يبدو- في جهد استخباراتي موحّد، ليحقّق كلاهما هدفه ومبتغاه، بل ويمكن الجزم بأنّ ما يُطلق عليها اليوم (بالديانة اليهوديّة) لم تكن سوى صنيعة الكاهن عزرا، بالتنسيق معَ

الملك الفارسي، لذلك؛ وبناءً على توجّهات عزرا، تسمّى بنو إسرائيل باسم اليهود نسبةً إلى منطقة يهوذا الفلسطينية، وليست لأي عرقٍ أنثروبولوجي.

وفي فترة السيطرة اليونانيّة على فلسطين، نجح اليهود بالحصول على حكمٍ ذاتيٍّ لبعض الوقت حول مدينة القدس، سرعان ما انهار خلال فترة السيطرة الرومانيّة على فلسطين، بعد أن تمَّ طرد اليهود تمامًا من فلسطين والقدس.

تكمن أهميّة الدراسة، من كونها تتناول وتناقش قضيّة بالغة الأهميّة تهم المسلمين والعرب والفلسطينيين؛ فقضيّة القدس يجب أنْ توحّد المسلمين والعرب معًا على كلمةٍ سواء، وعلى موقفٍ واحد؛ فالقدس هُويتها إسلاميّة عربيّة وليس فلسطينيّة فقط. كما تنبع أهميّة الدراسة من أهميّة الموضوع الذي تتناوله؛ المتمثّل بتفنيد الروايات التوراتيّة الخاصة ببدايات التواجد اليهودي في مدينة القدس.

ثانياً: مشكلة الدراسة:

إنّ الجدل الدائر حاليًّا بين الباحثين حول بدايات التواجد اليهودي في القدس، وتركيز معظمهم على أنّ بداياته كانت في زمن داود عليه السلام، يجعلنا نغوص في التاريخ وخصوصًا في التاريخ القديم، لبيان عدم صحّة الروايات التوراتيّة بهذا الخصوص.

وتتمحور مشكلة الدراسة في السؤال الآتي: **ما حقيقة الروايات التوراتيّة الخاصّة بالتواجد اليهودي في مدينة القدس خلال التاريخ القديم، وكيف فنّدت الدراسات الحديثة هذه الروايات؟**

ثالثًا: أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

1. توضيح أنّ وجود بني إسرائيل في فلسطين كان طارئًا.
2. الوقوف على حقيقة ما ورد في الروايات التوراتيّة عن بدايات التواجد اليهودي في القدس.
3. بيان أنّ أول بدايات التواجد اليهودي الرسمي في مدينة القدس، كان خلال فترة الحكم الفارسي لفلسطين.

رابعًا: منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة ونظرًا لأهميتها على المنهج التاريخي، ليسعفنا في التنقيب عن المعلومات الأوليّة لموضوع دراستنا، ومن ثَمَّ المنهج الوصفي التحليلي، لتفسير وتحليل تلك المعلومات لبيان أهميّتها وقيمتها العلميّة.

مقدمة:

هنالك قاعدة ذهبيّة وصفها جوبلز داعية النازيّة المعروف في التاريخ المعاصر، ومفادها (اكذب! اكذب دائمًا، فلا بدَّ أنْ يبقى من كذبك شيء). ولا نعتقد أنْ يكون أحد كالحركة الصهيونيّة في الدنيا– إلّا أنْ يكون الشيطان– قد طبّق هذه القاعدة أفضل تطبيق، واستغلّها حتى تحقيق مآربه. فتاريخ هذه الحركة من أوله إلى آخره، برهانٌ على أنه لا حاجة لأن يكون لك حقٌّ لتصل إلى ما تبتغيه؛ فيكفي أن يكون لك– معَ العمل والقوة– بوق دعاية. واكذب ما شئت؛ فليس ثَمّة إلّا عدد محدود من العارفين بالحقيقة يعارضك. فإنْ رفع بعضهم الصوت لمعارضتك، تكفَّل بالتغطية عليه سيلُ الدعاية الجارف. وإذا ذهب ملايين البشر في التاريخ القديم ضحيّة الأساطير، واغتُصبت الأراضي، فما زالت الأسطورة سيّدة الموقف، حتى في تاريخنا المعاصر يوم أضحى في إمكان الإنسان النزول على القمر، والتحقّق من حجارته[1].

وفي الواقع؛ فإنّ أهم ما تميّز به تاريخ بني إسرائيل ولاحقًا اليهود في التاريخ القديم، أنّه تأسّس ووُضعت مداميكه الأولى اعتمادًا على الأساطير الباطلة التي حِيكت بعنايةٍ فائقة، حتى إنّها باتت مادة رسميّة معتمدة لدى الساسة والأكاديميين والمثقّفين ليس في الغرب فحسب؛ بل وفي مجمل أنحاء العالم. وممّا يؤسف له، أنّ هذه الأساطير قد انطلت على بعض الأكاديميين والمثقّفين العرب، الأمر الذي

(1) شاكر. مصطفى. (15 أبريل 1988): **وللأساطير أيضًا ثمنها الباهظ جدًا**. (ص:151).

نلمسه حاليًّا بقوة لدرجة أنّهم باتوا يدافعون عن الأساطير الإسرائيليّة، ويدحضون الحق العربي والفلسطيني بملكيّة فلسطين ومدينة القدس.

أولًا: الوجود الطارئ لبني إسرائيل في فلسطين:

بدايةً، حاول كتبة العهد القديم عندما بدأوا في تدوينه أواخر السبي البابلي أنْ يوهموا الشعوب الأخرى، وخاصة الشعب الكنعاني أول شعب عربي استوطن الأرض المعروفة باسم أرض كنعان (فلسطين لاحقًا)، بأنّ الربَّ قد منحهم هذه الأرض. فقد ورد في نهاية الإصحاح (48) من سفر التكوين، أنّ أرض كنعان لم تعد مجرّد وعدٌ موعود؛ بل ملكيّة حقيقيّة لا شبهة فيها ولا غبار عليها؛ فكاتب هذا السفر إنّما مهَّد بذلك لعودة بني إسرائيل فيما بعد إلى أرض كنعان من مصر، بقوله: **"وقال إسرائيل** (يعقوب) **ليوسف: ها أنا أموت، ولكن الله سيكون معكم ويردّكم إلى أرض آبائكم"**[1].

والواضح من هذا النص، أنّه قد دُسَّ عن عمد لكي يعطي بني إسرائيل المشروعيّة والحقّ في العودة إلى أرض كنعان وقتما شاءوا، وكأنّهم أصحاب الأرض الأصليون والشرعيين.

وثمة وعود أخرى متعدّدة حسب ادّعاءات العهد القديم، فقد أعطى ومنح الربّ لإبراهيم-عليه السلام- الأرض من نيل مصر إلى نهر الفرات، حيث ورد في

(1) **سفر التكوين:** 48/ 21.

سفر التكوين، ما نصّه: **"في ذلك اليوم قطع الربّ معَ أبرام** (إبراهيم) **ميثاقًا قائلًا: لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"**[1]. كما ورد في سفر التثنية، ما نصّه: **"كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم، من البريّة ولبنان، من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي** (البحر المتوسط) **يكون تخومكم"**[2]. وورد في السفر نفسه كذلك: **"تحوّلوا وارتحلوا وأُدخلوا جبل الأموريين، وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات"**[3]، حيث تُعدّ مقاطعات أرض كنعان كمرتفعاتٍ للأموريين. أمّا صحراء النقب والسهل الساحلي فتُعد من الأراضي المنخفضة أو السهليّة[4]، غير أنّه من الصعب بمكان–حسب قول الأب Roland De Vaux[5]– القول بدقّة فيما إذا كانت هذه الأراضي التي زعم العهد القديم منحها لبني إسرائيل، قد اتّصلت بالبحر المتوسّط على طول مسار نهر القاسميّة إلى الشمال من مدينة صور، أو عند رأس الناقورة إلى الجنوب من صور.

(1) **سفر التكوين:** 15/ 18.

(2) **سفر التثنية:** 11/ 24.

(3) **سفر التثنية:** 1/ 7.

(4) De Vaux (Roland) (1978) The early history of Israel vol. 1 (p. 5).

(5) Op. cit (p .6).

وفيما يخص ما ذكره العهد القديم عن الوعد الذي منحه الله لإبراهيم بإعطاء نسله الأرض من النيل إلى الفرات، يؤكّد ابن حزم الأندلسي أنّ بني إسرائيل لم يحصلوا إلّا على أقل من معشار الأرض الموعودة حسب ادّعاءاتهم، ويعُدُّ ذلك من قبيل الكذب والافتراء. ويقول: إنّه **"ما ملكوا** (أي بني إسرائيل) **قط من نهر مصر ولا على نحو عشرة أيام منه شبراً ممّا فوقه، وذلك من موقع النيل إلى قرب بيت المقدس، وفي هذه المسافة الصحاري المشهورة الممتدّة، والحضار ثمَّ دفج وغزة وعسقلان وجبال الشراه التي لم تزل تحاربهم طول مدة دولتهم، وتذيقهم الآمرّين إلى انقضاء دولتهم، ولا ملكوا قط من الفرات ولا على عشرة أيام منه؛ بل بين آخر حوز بني إسرائيل إلى أقرب مكان من الفرات إليهم نحو تسعين فرسخًا، فيها قنسرين وحمص التي لم يقربوا منها قط، ثمَّ دمشق وصور وصيدا التي لم يزل أهلها يحاربونهم ويسومونهم الخسف طول مدة دولتهم، بإقرار ونصوص كتبهم"**[1].

والقارئ لسفر التكوين يصل إلى نتيجةٍ مؤدّاها: إنّ ذلك إبراهيم قد أُعطيت له كل أرض كنعان وما وراءها من الأرض الممتدّة بين نهري النيل والفرات ملكًا أبديًّا له ولنسله، غير أنّ إبراهيم نجده لا يملك منها شيئًا، حتى إنّه يستجدي أصحاب الأرض التي نصب فيها خيمته قطعة أرض ليدفن فيها زوجه سارة، بدلالة قوله لهم: إنّه غريب ونزيل عندهم. كذلك، نجد إبراهيم نفسه كما ورد في سفر التكوين قد مات

(1) ابن حزم. أبو علي أحمد (ب.ت). **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. ج1. (ص:102).

غريبًا في حبرون (الخليل)، وهو لا يملك إلّا مكان المقبرة له ولزوجه التي اشتراها من الحيثيين في هذه المدينة[1].

علمًا بأنّ إبراهيم الخليل من أصلٍ عربيٍّ ينتمي لقبائل الأموريين الذين أسّسوا الدولة البابليّة في بلاد الرافدين؛ ولذلك فإنّ أبناءه وأحفاده هم من العرب بِما فيهم بنو إسرائيل أنفسهم. وقد نفى القرآن الكريم نفيًا قاطعًا أنْ يكون إبراهيم من أصلٍ يهودي. قال تعالى: (**ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا وَلَٰكِن كانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)[2]. وهذا يعني، أنّه لم يكن هنالك جنس بشريّ في زمن إبراهيم يتسمَّون باسم اليهود.

والحقيقة؛ فإنّ الكتابات الإسرائيليّة المعتمدة على رواياتٍ قديمة ظلّت تتداول لعدّة قرون قبل تدوينها، وقد كانت تحمل في طيّاتها التناقض، واختلطت فيها الأحداث الأسطوريّة الخياليّة بالحقائق التاريخيّة التي يمكن قبولها، والواقع، أنّ العقل البشري يرفض مثل تلك الادّعاءات؛ لأنّ اليهود حاولوا من وراء زعمهم بالوعد الإلهي، إعادة تاريخهم القديم إلى عصورٍ أقدم من وجود الكنعانيين في فلسطين، في محاولةٍ منهم لإثبات أنّهم الأقدم وجودًا على أرض فلسطين من الكنعانيين؛ وبالتالي: إثبات أحقيتهم بها عن سواهم من الأقوام الأخرى.

(1) إبراهيم. موسى مطلق (1994). **وعد التوراة من أبرام إلى هرتزل**. (ص:7-13).

(2) **سورة آل عمران**: (الآية:67).

وكذلك الأمر؛ فثمة فارقٌ جوهري بين مصطلحي: **بنو إسرائيل، واليهود**. فالأول: ينسب ليعقوب -عليه السلام -الذي تسمّى باسم (**إسرائيل**)، وأبناؤه وأحفاده هم بنو إسرائيل، وظلَّ هذا المصطلح متداولًا حتى نهاية السبي البابلي[1]، تاريخ وجود كاهن إسرائيلي يُدعى عزرا الذي كان يعمل في بلاط الملك الفارسي أَرْتَحْشَشْتَا الأول، كما سيتم بيانه لاحقًا. أمّا المصطلح الثاني: فقد بدأ على يد الكاهن عزرا نفسه عندما أسّس تعاليم الديانة اليهوديّة الموجودة حتى يومنا هذا، فتمّت تسمية بني إسرائيل باليهوذيين نسبةً لمنطقة يهوذا الفلسطينيّة، وليس لأي جنسٍ أنثروبولوجي، ثمَّ حُرّفت فيما بعد إلى اليهود[2]، بينما ذهب البعض[3] إلى أنّ منشأ التسمية باليهود تمَّ قبل وفاة يعقوب عندما أوصى أولاده بطاعة أخيهم يهوذا الولد الرابع له. وعندما حدث الشقاق بين الأخوة، أُطلق لفظ اليهود على أولئك الذين اتّبعوه، بل ينفي البعض الآخر[4] دعاوى اليهود بأنّهم من سلالة يعقوب، وأنّ دعوتهم تلك باطلة بإجماع علماء الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، وقد تُرك المجال لاسم اليهود حتى القرن التاسع عشر للميلاد، حيث بدأ اسم (**الصهيونيين**) يظهر إلى

(1) عثمان. أحمد (1994). **تاريخ اليهود**. ج1. (ص:10).

(2) سوسة. أحمد. (1978). **ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق**. (ص:17).

(3) طعيمة. صابر. (1972). **اليهود بين الدين والتاريخ**. (ص:78-79).

(4) عطار. أحمد. (1974م (1394هـ)). **عروبة فلسطين والقدس أصيلة**. (ص:10).

الوجود كمرادفٍ لاسم اليهود[1]. وبذلك، كانت اليهوديّة في الواقع إعادة إنتاج للثقافات المصريّة والرافديّة والكنعانيّة، إضافةً للثقافة الخاصة لمجموع القبائل التي حملت اسم بني إسرائيل[2].

والواقع؛ فإنّ الزعم بنسبة اليهود إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب، هو نوعٌ من الاستخفاف بالعقل البشري، فمن المعروف- سابقًا وحاليًّا- أنه في المجتمعات الشرقيّة تكون الزعامة دومًا من حق الابن البِكر بعد وفاة الأب. وبالتالي: فما هو المبرر ليعقوب- إنْ صحّت هذه الرواية-بمنح الزعامة للابن الرابع وليس للابن الأول أو الثاني أو الثالث، خصوصًا معَ فهمنا الصحيح لِما ورد في سورة يوسف، من سوء تصرّفات معظم أبناء يعقوب.

والجدير بالذكر، أنّه لم يكن حتى تاريخ وجود الكاهن عزرا شعبًا يُسمّي بالشعب اليهودي؛ فالرسالة السماويّة أو الدعوة التي نزلت على موسى- عليه السلام- لم تكن تتسمَّى بالديانة اليهوديّة أصلًا، فمن المعلوم أنّ الدعوة التي نزلت على موسى هي التوحيد أو الإسلام، شأنها في ذلك شأن الرسالات التي نزلت على الأنبياء كافة، وبالتالي لم يكن في زمن موسى أو قبله قومٌ أو شعبٌ تسمَّى بالشعب

(1) مهران. محمد بيومي. (1995). **دراسات تاريخية من القرآن الكريم (1). في بلاد العرب**. (ص:229).

(2) عبد الرحمن. عبد الهادي. (1994). **التاريخ والأسطورة**. (ص:37).

اليهودي، إذ لم يرد نصٌّ صريحٌ أنّ دينًا نزل على نبيٍّ ما حمل اسم القوم الذين نزلت عليهم الدعوة السماويّة.

وعليه؛ فإن كان أول تواجد لبني إسرائيل على أرض فلسطين في زمن يعقوب- عليه السلام- وأبنائه؛ فإنّ العهد القديم يعترف اعترافًا صريحًا بِما لا يدع مجالًا للجدل، بأنّ تواجد يعقوب وأبنائه على أرض فلسطين كان مؤقّتًا طارئًا، ولم يكن له صفة الديمومة؛ فبعد استدعاء يوسف- عليه السلام- لأبيه وإخوته للمجيء إلى مصر والاستقرار فيها، انتهى أي تواجد لأبناء يعقوب في فلسطين، حيث ورد في سفر التكوين ما نصّه: وكانت **"جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون"**[1]، ومثل هذا العدد لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن نعدّه شعبًا.

أُعتبر يوسف الصدّيق همزة الوصل والحلقة الرئيسة التي ربطت الأسطورة بالتاريخ في قصّة بني إسرائيل، ما أدّى إلى ذوبان جماعة يعقوب في البيئة المصريّة كليًّا لمدة خمسمِائة عام؛ فيوسف وابناه منسي وأفرايم وأبناء إخوته تزوّجوا من مصريّات. كما أنّ التحليل العلمي يبيّن أنّ أسرةً واحدةً تتكوّن من سبعين شخصًا لا عشيرةً، لا بدَّ وأن تكون قد انصهرت وذابت تمامًا في محيطها الجديد ثقافيًّا واجتماعيًّا؛ بل وعرقيًّا. وممّا ساعد على ذوبان ذرية يعقوب بالشعب المصري كليًّا، اعتناق فرعون مصر امنوحتب الرابع (أخناتون) (1375-1358 ق.م) دين التوحيد

(1) **سفر التكوين**. الإصحاح: 46/ 27.

(عبادة آتون)، وفرضه على الشعب المصري الذي أخذ عدد كبير منه بذلك الدين؛ ما أدّى إلى اندماج ذريّة بني إسرائيل بالمصريين، ولم يبقَ ما يفرّقهم عن بعضهم. لذا، أشارت كل الدلائل إلى أنّ الجماعة التي خرجت من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيادة موسى، كانت مؤلّفةً من جماعةٍ من المصريين الذين اعتنقوا دين التوحيد، وقد اضّطروا لمغادرة مصر بعد أنْ أخذ حكّامها في اضّطهادهم بعد وفاة أخناتون[1].

وبعد صدور الأمر الإلهي لموسى بقيادة قومه لدخول أرض كنعان لم يتمكّن من إقناعهم بدخولها، لِما يتمتّعون به من صفة الجُبن الملازمة لهم. قال تعالى: (**تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتّى**)[2]، فكتب الله عليهم المذّلة والتيه في أرض سيناء لمدّة أربعين عامًا، حتى يموت الجيل المتردّد الجبان، وينشأ الجيل القوي.

وقد حاول البعض[3] الربط بين محاولة موسى في إقناع قومه بدخول أرض كنعان وروايات الوعد المتكرّرة في العهد القديم، بأنّ موسى هو أول من أطلق هذا الوعد لإنقاذهم من ربقة العبوديّة، بعدما أيقن بأن لا أمل بنجاح دعوته من خلال شعبٍ ممزّق، جزء منه عبيد وجزء آخر رعاة ضد دولة قويّة مثل الدولة المصريّة. فقد كان على موسى إقناع قومه الأذلّاء والمستكينين بالهرب إلى أرضٍ تنتظرهم، هي

(1) سوسة. **ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق**. (ص:236-237).

(2) **سورة الحشر**: (الآية: 14).

(3) حمدان. عبد المجيد. (1993). **الوعد في التوراة**. (ص:28).

أرض كنعان ليعيش فيها سيّدًا كما يعيش المصريون أسيادًا على أرضهم. ومن هنا، جاءت المقارنات بين أرض فلسطين وأرض مصر اللتين كلتاهما تفيضان لبنًا وعسلًا، وكان على موسى أن يوقظ غرائز المحروم في التملُّك[1].

والواقع، أنّه بالإمكان قبول جزء ممّا سبق ذكره، غير أنّ الجزء الآخر بالإمكان إعادة صياغته على نحوٍ آخر؛ فمحاولة موسى في إقناع قومه بدخول أرض كنعان، لا تعني بأي حالٍ من الأحوال أنّ ذلك وعدٌ من الربّ لهم، ونرى أنّ الوعد الذي تكرّر دومًا في أسفار العهد القديم قد تمّت صياغته بعد عهد موسى بقرونٍ عدّة، خاصةً في فترات الانحلال السياسي والخُلُقي، والتفكّك الاجتماعي لبني إسرائيل في بابل في أثناء فترة السبي؛ فصاغ الكتبة هذا الوعد وكرّروه مرّاتٍ عدّة في الأسفار على فتراتٍ متتابعة لتوكيده، ولإقناع القارئ بصدقيته. وللتدليل على أنّه لا يوجد وعدٌ إلهي بتملّك بني إسرائيل لأرض فلسطين البتة، وإنما هو أمرٌ من الله لهم بدخول أقرب أرضٍ بعد فرارهم من الجيش المصري الذي يقوده فرعون نفسه. وفي ذلك، يقول الحق- سبحانه وتعالى- على لسان موسى: **(يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ولا ترتدُّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين)**[2].

(1) المرجع السابق. (ص:21-23)؛ **سفر التثنية:** 11/ 8-12.

(2) **سورة المائدة**:(الآية:21).

والملاحظ هنا، أنّ الأسلوب القرآني في لفظة **(كتب الله لكم)**، لا تعني بأي حالٍ من الأحوال أنّها وعدٌ ممنوحٌ لقوم موسى، أو وثيقة رسميّة لتأكيد حقّهم بتملّكها، وإنّما ساقها المولى- عز وجل- لإثبات عدم أحقيتهم بها، بعدما رفضوا أمره بقتال سكّان أرض كنعان. و**(كتب الله لكم)** هنا، بمعنى أنّ الله أعطى عهدًا وميثاقًا لا جدال فيه، ولا رجعة عنه، لكنّها لا تعني حقّ التملُّك الأبدي لأنّها مسألة وقتيّة. فنلاحظ هنا، ما قاله- سبحانه وتعالى- تكملةً للآية السابقة: **(قالوا يا موسى إنّ فيها قومًا جبّارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون)**[1]. وهذا يعني ضمنًا رفضهم للأمر الإلهي بعدما تغلغل الجُبن، ووصل إلى أقصى مدى في قلوبهم، نتيجةً لحياة العبوديّة التي عشّشت في وجدانهم، وأصبحت ركنًا مهمًّا وأصيلًا في أسلوب حياتهم اليوميّة حتى معَ وجود نبيٍّ بين ظهرانَيْهِم.

ثانيًا: تفنيد ما ورد في الروايات التوراتيّة عن بدايات التواجد اليهودي في القدس في عهد داود:

تُعتبر الأرض هي الأساس في أي مشروع استيطاني؛ فكان لا بدَّ لهذا المشروع أيًّا كان وخصوصًا في الفِكر اليهودي المبني أساسًا على المكيافيليّة، واستغلال الآخرين، من ترجمته على أرض الواقع، من خلال الأرض المنوي الاستيلاء عليها واستيطانها. فقد حدّثتنا الروايات التاريخيّة، وخصوصًا ما ورد في أسفار العهد القديم المتعدّدة بأنّ ما مرَّ به بنو إسرائيل في بابل، وما ذاقوه من مرارة

(1) **سورة المائدة**:(الآية: 22).

العيش، وتفشّي الانحلال الخلقي والديني بينهم، حتى إنهم نسوا عبادة الله وعبدوا آلهة وثنيّة كالإله تموز في بلاد الرافدين، جعل الكهنة في محاولةٍ منهم لإعادة هؤلاء الناس إلى عبادة الله، يُضطرُّون لاختراع أحداثٌ تاريخيّة لا تمّت لتاريخهم بصلة. فاخترعوا كما سيتم بيانه، قصّة استيلاء داود- عليه السلام- على مدينة القدس، ومن ثمَّ اتّخاذها عاصمةً لحكمه، ثمَّ اخترعوا قصّة بناء ابنه سليمان- عليه السلام- هيكلًا عظيم البنيان لعبادة الربِّ في المدينة نفسها.

بالتالي: فإنّ هؤلاء الكهنة كانوا بأمسّ الحاجة لجمع هؤلاء القوم على تقديس مدينةً بعينها لجعلها قبلةً لهم، ومهوى أفئدتهم؛ فوقع الخيار على مدينة القدس لِما لموقعها ومكانتها من أهميةٍ بالغة. علمًا بأنّه وحتى تاريخ وجود بني إسرائيل في بابل لم يكن لهم بهذه المدينة من علاقةٍ لا من قريب أو من بعيد. فإذا كانت القدس تُعدُّ مقدّسة بالنسبة للمسلمين؛ فهذا أمرٌ نتفهّمه بعد أن ربطت حادثة الإسراء والمعراج بين المسجدين المباركين: المسجد الحرام بمكّة المكرّمة والمسجد الأقصى بالقدس. وإذا كانت القدس مدينةً مقدّسة بالنسبة للنصارى؛ فهذا- أيضًا- أمرٌ نتفهّمه، نظرًا لميلاد السيد المسيح بجوارها، ودعوته لعبادة الله من خلالها، لكن ما لا نستطيع تفهُّمه ولا قبوله، هو تقديس بني إسرائيل- ولاحقًا- اليهود لهذه المدينة، خصوصًا وأنّ الدعوة التي نزلت على موسى- عليه السلام- كانت خارج فلسطين والقدس، ونستدلُّ على ذلك، بأنّ يهود اليوم لا يُجمعون على

قدسيّة مدينة القدس؛ فاليهود السامريين مثلًا لا يقرّون بقدسيّتها، وإنّما يجعلون من جبل جرزيم بالقرب من مدينة نابلس مكانهم المقدّس دون مدينة القدس.

ولبيان كيفيّة تزوير الوقائع التاريخيّة، ونسبة ما قامت به الشعوب الأخرى من أعمالٍ قاموا بها، على أنّها من صنع بني إسرائيل، نسوق بعض الأمثلة على ذلك، والتي توضّح بما لا يدع مجالًا للشك عدم سيطرتهم على مجمل أرض كنعان، بِما في ذلك الاستيلاء على مدينة القدس الحصينة زمن داود:

أولًا: يذكر سفر صموئيل الثاني أنّ داود استولى على مدينة أورشليم[1] الحصينة من اليبوسيين الكنعانيين أوائل القرن العاشر قبل الميلاد، حيث ورد في هذا السفر: **"كان داود ابن ثلاثِين سنة حين ملك، وملك أربعين سنة. في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر. وفي أورشليم ملك ثلاثًا** (ثلاث) **وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا... وأخذ داود حصن صهيون، هي مدينة داود... وأقام داود في الحصن وسمّاه (مدينة داود). وبنى داود مستديرًا من القلعة فداخلًا.."**[2].

وقد نفى أحمد عثمان[3] ما جاء في هذا السفر حول هذه الرواية، وأكَّد أنّ الوحيد الذي فتحت له هذه المدينة أبوابها لاستقباله في سلام، هو الفرعون المصري تحتمس الثالث قبل داود بخمسة قرون؛ لذا عُرفت فيما بعد باسم أورشليم (أي

(1) علمًا بأن اسم أورشليم هو الاسم العربي الكنعاني لمدينة القدس.

(2) **سفر صموئيل** الثاني: 5/ 4-10.

(3) عثمان. **تاريخ اليهود**. ج2. (ص:15).

مدينة السلام). كما ذكر أنّه ليس صحيحًا ما جاء في سفر الملوك الثاني من أنّ مدينة القدس كانت عاصمةً لمملكة يهوذا، عندما حطّمها الملك البابلي نبوخذ نصَّر فيما بعد عام 586 ق.م[1]، لأنّها كانت ما تزال في أيدي أصحابها اليبوسيين الذين أفناهم جيش الملك البابلي عن آخرهم، وترك مدينتهم حطامًا. فكل الأدلَّة المتوفّرة تؤكّد أنّ بني إسرائيل لم يدخلوا أبدًا إلى القدس ولم يقدّسوا في معبدها، ولكنّ الإسرائيليين الذين عادوا من بابل هم أول من فعل ذلك بعد سقوط الدولة البابليّة. والجدير بالذكر أنّ كتب العهد القديم الخمسة الأولى والمنسوبة إلى موسى، هي فقط التي كُتبت خلال القرن السادس قبل الميلاد، أمّا بقيّة الأسفار الأخرى فلم تأخذ شكلها الحالي إلّا بعد ذلك بثلاثة قرون.

ويستطرد أحمد عثمان[2]، أنّ قبائل يهوذا كانت تسكن المنطقة الجبليّة المحيطة بمدينة القدس الحصينة، لذلك نجد ادّعاء كتبة سفر صموئيل الثاني بأنّ داود قد استولى على هذه المدينة ليس له أساس من الصحّة[3]. ورغم ذلك، استمرّت

(1) أنظر: **سفر الملوك الثاني**. الإصحاحين: 24-25.

(2) عثمان. **تاريخ اليهود**. ج2. (ص:15-16).

(3) ورد في سفر الملوك الأول 2/ 11. أن عاصمة مُلك داود كانت مدينة حبرون (الخليل)؛ إذ حكم من خلالها نحو سبعة أعوام ونصف العام قبل أن ينتقل منها إلى القدس. لذلك، نُصرُّ على أنّ

كتب أسفار الملوك التالية في اعتبار القدس عاصمةً لمملكة يهوذا، وإن كان من الواضح أنّ هذه المدينة لم تكن لها علاقة بِما يجري من أحداث، وإنّما أراد كتبة العهد القديم عند إعادة صياغة هذه الكتب جمع الإسرائيليين على مدينةٍ يقدّسونها، معَ تبرير حقٍّ لهم فيها، الأمر الذي لم يتم إلّا بعد دمار هذه المدينة على أيدي البابليين، كما سبق الإشارة.

وكان أهل يهوذا يقيمون مذابحهم وعباداتهم عند قمم الجبال العالية، شأنهم في ذلك شأن باقي الشعوب الكنعانيّة، وكانت القدس بسبب وجود المسطّح الصخري الواقع أعلى المدينة شمالًا، تُعتبر أهم منطقة للعبادة في كل أرض كنعان. وكان لموقع المدينة الحصين، ووجود أسوارٌ قوّيَّة حولها أن جعلها أقل عُرضة لهجمات الأعداء، إلى أن فتحت أبوابها لاستقبال الفرعون تحتمس الثالث خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد، عندما أدركت عدم جدوى مواجهة جيشه القوي، فركَّز فيها الملوك المصريون فرقة عسكريّة من المركبات والخيّالة، ثمَّ أقام الفرعون امنوحتب الثالث فيما بعد معبدٌ عند مذبح الصخرة، وهذا ما ينفي ما زعمه سفر الملوك الأول[1]، من أنّ سليمان بن داود هو الذي قام ببناء هذا المعبد[1].

داود- طيلة فترة حكمه- قد حكم قومه من خلال مدينة الخليل أو جوارها، وليس في مدينة القدس.

(1) لمزيد من التفاصيل حول ما زُعِم عن بناء سليمان عليه السلام لمعبد القدس. أنظر: **سفر الملوك الأول**. الإصحاح 6.

وقد أكدَّ توماس طومسون[2]، أنّ تحتمس الثالث هو بالفعل الذي أسّس إمبراطوريّة مترامية الأطراف في سوريا، وذلك بقوله: إنّ تحتمس الثالث عندما ضمَّ فلسطين وسوريا إلى إمبراطوريته عام 1482 ق.م، أقام عددًا من المراكز العسكريّة والإداريّة، وأنّ هذا النظام حقّق قدرًا كبيرًا من الاستقرار في فلسطين، لا سيّما في السهل الساحلي الجنوبي، والأراضي الفلسطينيّة ذات الأهميّة الإستراتيجيّة والاقتصاديّة بالنسبة للمصريين.

وقد لوحظ أنّ الكهنة في أثناء وجودهم في بابل خلال القرن السادس قبل الميلاد قد أعادوا صياغة أسفار العهد القديم؛ فاستعاروا من الكتابات المصريّة قصة حروب تحتمس الثالث الذي قام بإنشاء إمبراطوريّة مصريّة بين النيل والفرات، والمنقوشة على جدران معبد الكرنك، ثمَّ أضافوها إلى رواية ملكهم داود؛ بل إنهم لم يحاولوا مزج الجزء الذي استعاروه من المصادر المصريّة، وأدخلوه كما هو دونما تعديلٍ كبير في وسط الرواية الرئيسة، فظهر واضحًا أن لا علاقة له ببقيّة القصّة، فنجد داود ومعَه جيشه المؤلّف من 600 رجل يحاربون في صراعٍ داخليٍّ بين القبائل الإسرائيليّة، أو معَ الفلسطينيين. وفجأة ترد تفاصيل معركة كبيرة تخوضها جيوش منظّمة في مواقعٍ محصّنة عديدة من أرض الهلال الخصيب. ولم يكن صدق الرواية

(1) عثمان. **تاريخ اليهود**. ج1. (ص:184).

(2)طومسون. توماس (1995). **التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي**. (ص:188).

التاريخيّة يهم الكهنة في شيء؛ بل كان هدفهم الرئيس من ادّعاء تلك الانتصارات العظيمة، هو حث بني إسرائيل على ترك عبادة الأوثان والعودة إلى ديانة موسى.

والحقيقة، أنّ السبب الذي جعل الكهنة يختارون قصّة تحتمس الثالث لصالح داود، أنّ الملك المصري كان أول من استطاع بناء إمبراطوريّة اشتملت على معظم أجزاء العالم المعروف في عصره؛ ولأن الجزء الأول من اسمه (تحوت) يصبح في العبريّة (دود)، وهو الاسم العبري لداود[1].

وقد أكّد أحمد عثمان[2] أنّ القصّة القرآنيّة اختلفت اختلافًا جوهريًّا عن قصة العهد القديم في:

1. عدم ذكر أي شيء عن مملكة سليمان الممتدّة ما بين النيل والفرات.
2. لم تذكر أنه قام ببناء معبد في مدينة القدس.
3. لم يرد في القرآن أي ذكر للقدس أو بيت المقدس، فيما يخص الروايات المتعلّقة بسليمان أو بأبيه داود.

لم تذكر المدوّنات المصريّة _التي تناولت حملة الفرعون المصري شيشنق على المدن الرئيسة، وطرق التجارة في فلسطين أواخر القرن التاسع قبل الميلاد_ أي شيء عن أي حكمٍ إمبريالي ذي شأنٍ عظيم في فلسطين مركزه القدس، فلا مملكتا

(1) عثمان. **تاريخ اليهود**. ج1. (ص:135-137)؛ ولمزيد من التفاصيل. انظر: (ص:137-145)؛ صموئيل الثاني. الإصحاحات 8-11.

(2) عثمان. **تاريخ اليهود**. ج1. (ص:167).

يهوذا وإسرائيل، ولا حتى القدس أو أي عاصمة أخرى محتملة في المرتفعات الوسطى تستدعي اهتمامه في محاولاته لإخضاع فلسطين سياسيًّا واقتصاديًّا لمصر. وقد كانت القدس وقتذاك مدينة جبليّة صغيرة، ناهيك عن أنّ وجود مملكتي يهوذا أو إسرائيل في ذاك الوقت المبكّر، لا تؤيّده المعلومات المتوفّرة عن فلسطين، كما أنّ المعلومات الأثريّة والكتابيّة تُثبت عدم وجود أي قوى سياسيّة في المرتفعات الفلسطينيّة[1].

ثالثًا: بدايات التواجد اليهودي الرسمي في مدينة القدس فترة الحكم الفارسي لفلسطين:

على الرغم من أنّ الدراسات التاريخيّة الحديثة قد عجَزت تمامًا عن إثبات أي علاقة بين قبائل بني إسرائيل ومدينة القدس قبل منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، عندما سمح لهم الفرس بسكناها، إلّا أنّ المراجع التاريخيّة لا تزال تصرّ على قبول روايات العهد القديم فيما يتعلّق بهذه المدينة، وكان مبررهم هو عدم وجود مصادرٍ تاريخيّة تغطّي تلك الحقبة الزمنيّة سوى أسفار العهد القديم[2].

ولقد حاول كتبة العهد القديم- لاحقًا- ترسيخ مفهوم الأرض واستيطانها عند بني إسرائيل الذين تبدَّل اسمهم إلى **(اليهود)**، كما سيرد بيانه. فبعد القضاء على

(1) طومسون. **التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي**. (ص:211).

(2) عثمان. **تاريخ اليهود**. ج1. (ص:185).

مملكة بابل، وسيطرة الفرس على فلسطين حدث أول استيطان يهودي لمدينة القدس. وسوف نورد قضيّة خطيرة حدثت خلال فترة النفوذ الفارسي، وهي خاصة بالكاهن عزرا، الذي كان قد وُلِدَ في بابل واحدًا من المسبيين الذين حملوا في نفوسهم أحقاد واقع السبي، سواء الذي ورثوه، أو الذي عاشوه بكل مآسيه، وبكل عقده النفسيّة التي تراكمت على مدى أجيال. فقد نشأ عزرا وتربّى وتعلّم في بابل، فتعرَّف إلى الأساطير والآداب البابلية، بالإضافة إلى ما تناقلته حكاية الآباء للأبناء من إسرائيليّي السبي عن تاريخهم في فلسطين، وعن نهاية هذا التاريخ بالشكل المفجع الذي انتهى إليه[1].

وكان عزرا قد عمل موظّفًا في بلاد الملك الفارسي أَرْتَحْشَشْتَا الأول، ومستشارًا له في شؤون الطائفة الإسرائيليّة التي كانت تقيم في بلاد الرافدين منذ أيام السبي، وكان كاتبًا ماهرًا في شريعة موسى؛ لذلك سُمّي بعزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء[2]، وهو نفسه الذي أشرف على كتابة الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم في بابل، وهو المسئول الأول عن نشأة الديانة اليهوديّة بشكلها الحالي. علمًا بأنّ الملك أَرْتَحْشَشْتَا كان قد تزوّج من فتاةٍ إسرائيليّة تُدعى أستير، ومن شدّة ولهه بها كان يستجيب لطلباتها، ومنها السماح للكاهن نحميا بالعودة إلى فلسطين، وتعيينه واليًا على منطقة يهوذا، كما سمح له بإعادة بناء مدينة القدس، وحاول سكّان

(1) المرجع السابق. ج2. (ص:22)؛ إبراهيم. **وعد التوراة**. (ص:154).

(2) سوسة. **ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق**. (ص:153).

فلسطين عبثًا منع نحميا من إكمال البناء ولكنهم فشلوا، نظرًا لحصوله هذه المرّة على مرسومٍ ملكيٍّ بذلك. وبعد استكمال نحميا عمله في بناء معبد القدس، قام ببناء بيوتها، ثمَّ أجبر قبائل يهوذا على إرسال كل منها عشرة بالمِائة من تعداد سكّانها للاستيطان في القدس، لتصير ملكًا لهم[1] بحكم الأمر الواقع، ولم تكشف الحفريّات التي جرت في القدس حتى يومنا هذا، عن وجود أدلّةٍ دامغة تشير إلى مثل ذلك الإنجاز المعماري[2].

وذلك ما يفعله المستوطنون اليهود اليوم في فلسطين، إذ يقومون بإقامة المستوطنات، ثمَّ زرعها بالقادمين الجدد من يهود روسيا وأوروبا الشرقيّة، لخلق أمر واقع جديد بإخلاء فلسطين من سكّانها العرب الأصليين، وكأننا باليهود يعيدون دراسة تاريخهم القديم للاستفادة منه.

ونظرًا لثقة الملك الفارسي بعزرا فقد لبّى طلبه بالموافقة على سفره إلى القدس، فغادر بابل حوالي عام 458 ق.م.، وكان معَه رسائل توصية من الملك إلى عمّال الفرس الموجودين غرب نهر الأردن بمساعدته بكل ما يلزم، كما كان مزوّدًا بالسلطة الملكيّة المطلقة لإصلاح شؤون بني إسرائيل في فلسطين، وقد حمل عزرا

(1) عثمان. **تاريخ اليهود**. ج2. (ص:21-22).

(2) إبراهيم. معاوية (1990). **فلسطين من أقدم العصور**. (ص:130).

معَه إلى فلسطين الأحرف الآراميّة المربّعة الشكل، المعروفة بالخط الآشوري المربّع التي مهّدت إلى نشوء الأبجديّة العبرانيّة الحالية[1].

وكان لعزرا مهمّة مُكلفٌ بها من قبل أَرْتَحْشَشْتَا بعنوانٍ غريب، هو **"كاتب شريعة إله السماء"**[2]، كما كلّفه بتعيين الحُكّام والقضاة لخدمة سكّان فلسطين، وأصدر له أمرًا بأن: **"كل من لا يعمل شريعة إلهك وشريعة الملك** (أي أَرْتَحْشَشْتَا)، **فليقضَ عليه عاجلًا إمّا بالموت، أو بالنفي، أو بغرامة المال، أو الحبس"**[3]؛ وبذا تسلّم عزرا سلطات كاملة ليُملي باسم ملك الفرس شريعة الربّ، ويفرض احترامها والتزامها[4] على الإسرائيليين وبقية سكّان فلسطين.

نستنتج مما سبق ذكره، أنّ عزرا قد عمل على فرض شريعة الإله يهوه على قومه وغيرهم من سكّان فلسطين بالقوّة الجبريّة، بدعمٍ واضحٍ وصريح من سيّده ملك الفرس، أي أنّ الديانة اليهوديّة التي صنعها عزرا وما زالت مستمرة إلى يومنا هذا، هي صنيعة من لا يؤمن بإله بني إسرائيل؛ وبذا تصبح يهوديّة عزرا موضع شكٍّ وارتياب. والواضح أنّ ديانة عزرا قد اتّخذت اسمها نسبةً إلى منطقة يهوذا الفلسطينية

(1) سوسة. **ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق**. (ص:153).

(2) **سفر عزرا:** 7/ 12.

(3) **سفر عزرا:** 7/ 26؛ أنظر نص أمر ملك الفرس كاملًا في الإصحاح السابع من سفر عزرا.

(4) جارودي. رجاء (1996). **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**. (ص:156).

التي سُبي منها الإسرائيليون إلى بابل، فتسمَّوا باليهوذيين أولًا، ثمَّ حُرِّف المصطلح لاحقًا ليصير فيما بعد باليهود، كما سبق الإشارة.

والقارئ للقرآن الكريم يلاحظ جليًّا، أنّ آياته عندما تناولت قصص الإسرائيليين كانت دومًا تذكرهم باسم بني إسرائيل أو قوم موسى، وقلّما استخدم القرآن مصطلح (اليهود)، أو (الذين هادوا) والتي ذُكرت عند علاقة النبي محمد ﷺ بيهود المدينة المنوّرة. وفي هذا السياق، قال تعالى: **(قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنّكم أولياءُ لله من دون الناسِ فتمنّوا الموتَ إن كُنتم صادقين)**[1]. والمقصود هنا بالخطاب بنو إسرائيل وقد خاطبهم الله هنا بلفظ (الذين هادوا)، باعتبارهم يزعمون أنهم منتسبون إلى الله، عائدون إليه، والوصف هنا ليس ثناءً عليهم، بدليل أنّ الله تعالى قال بعدها: (إن زعمتم أنّكم أولياء الله).

ولكي ندلّل على أنّ الديانة اليهوديّة التي أسّسها عزرا تختلف عن رسالة التوحيد التي نزلت على موسى، والتي تدعو إلى الإسلام، نسوق عددًا من النماذج القرآنيّة، معَ الآخذ بعين الاعتبار أنّ كل الرسالات التي نزلت على الأنبياء جميعها تدعو للتوحيد والإسلام، وأنّ المسمّيات الأخرى ما هي إلّا مسمّيات بشريّة، قال

(1) **سورة الجمعة**:(الآية: 6).

تعالى: **(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنّي فضّلتكم على العالمين)** [1]، وقال تعالى: **(قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا...)**[2].

وقد أكّد القرآن الكريم أنّ دعوة عيسى- عليه السلام- قد نزلت على بني إسرائيل وليس اليهود، قال تعالى: **(إن هو إلّا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل)**[3]، وقال تعالى: **(وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إنِّي رسولُ الله إليكم مصدّقًا لِما بين يَدَيَّ من التوراة ومبشّرًا برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد...)**[4].

ولزيادة التوكيد فيما يخص أنّ كل الرسالات السماويّة كانت تدعو كلها إلى الإسلام، ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات التي تبيّن ذلك، منها على سبيل المثال، قال تعالى: **(إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. ألّا تعلوا عَلَيَّ وأتوني مسلمين)**[5].

ورغم أنّ الديانة الجديدة (أي اليهوديّة)، قامت على أساس أنّ معبد القدس الجديد هو قدس الأقداس بالنسبة إلى العبادة الدينيّة، نجد الكثير منهم لم يؤمن

(1) **سورة البقرة: (الآية:** 47).

(2) **سورة الأعراف:**(الآية: 128).

(3) **سورة الزخرف:**(الآية: 59).

(4) **سورة الصَّفّ:(الآية:** 6).

(5) **سورة النمل:**(الآية: 30-31).

بضرورة الإقامة في منطقة يهوذا؛ فأقاموا معابد لهم في بابل، وفارس، وجزيرة فيلة المصريّة، أشرف عليها كهنة لا علاقة لهم بمنطقة يهوذا[1]، وهذا إنْ دلَّ، فإنّما يدلُّ على أنّ ارتباط بني إسرائيل بمدينة القدس لم يكن وطيدًا وإنّما عابر، وإذا ما أراد الإسرائيليون البحث عن قدس أقداسهم، أو المدينة المقدّسة لديهم، فيجب البحث عنها خارج فلسطين، لأنّ ولادة الدعوة التي نزلت عليهم كانت خارجها.

وكان اليهود الذين عادوا إلى فلسطين في عهد الفرس قد تجمّعوا في منطقة القدس على الأكثر، حيث تمتّعوا في ذلك العهد بنوعٍ من الحكم الذاتي، وبعض الامتيازات الخاصة بحريّة ممارسة شعائرهم الدينيّة[2].

وفيما يخص القرار الصادر من الملك الفارسي قورش ببناء هيكل لعبادة الإله يهوه في القدس، وفشل الإسرائيليين العائدين إلى فلسطين ببنائه في عهده وعهد من تلاه من ملوك إلى أنْ تولّى أَرْتَحْشَشْتَا الحكم، يُلقي شكوكًا على تاريخيّة هذا القرار نفسه، وكذلك القانون الذي نشره عزرا برعاية الإدارة الفارسيّة في فلسطين، لا يعكس سوى المصاعب الإداريّة المزمنة التي واجهت سياسات إدخال عناصر سكّانيّة جديدة، وديانات مركزيّة في منطقةٍ ما، نظرًا لوجود سكّان مستقرّين ذوي

(1) عثمان. **تاريخ اليهود**. ج2. (ص:25).

(2) سوسة. **العرب واليهود في التاريخ**. (ص:324)؛ حتّي. فيليب (1958). **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**. ج1. (ص:245).

علاقات وسلطات ذاتيّة طويلة الأمد[1]. والأمر الذي يدعو إلى إلقاء الشكوك حول فشل العائدين في بناء الهيكل، هو كيف أنّ السلطات الفارسيّة تُحكِم سطوتها على الشعوب التي تسكن فلسطين خاصةً حول مدينة القدس، ولكنّها تفشل في تمرير أمرٍ ملكي ببناء هذا المعبد، إلّا إذا كان هذا الأمر لم يصدر أساسًا في عهد قورش ومن خلفه من الملوك إلى أنْ تولّى أَرْتَحْشَشْتَا الحكم، وكان هو صاحب القرار بالفعل بإيعازٍ من مراكز القوى الإسرائيليّة التي يغصّ بها بلاطه.

وحتى وإنْ صدقت الرواية السالفة الذكر؛ فإنّ الشعوب التي سكنت فلسطين خلال حكم كل من: قورش، وقمبيز الثاني، وسمرديس قد نجحت في منع الإسرائيليين العائدين من إكمال بناء المعبد بمفردهم، وهذا إنْ دلَّ فإنّما يدلُّ على أنّ القدس لم تكن قبل الأسر البابلي عاصمة للإسرائيليين، وإلّا ما تجرّأت هذه الشعوب على طلب المشاركة في بناء المعبد[2].

وخلاصة القول لكل ما عرضناه، نجد أنّ حوالي ألف عام على الأقل مرّت فيها عشرات الأجيال، ومِئات التقلّبات والأطوار السياسيّة والاجتماعيّة من بني إسرائيل، وإنّ عمليّات التدوين والتسجيل والرصد التي كان يقوم بها البعض من رجال وكهّان بني إسرائيل، كانت تتم في معظم مراحلها في ظل ظروفٍ سياسيّة ضد

(1) طومسون. **التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي**. (ص:239).

(2) عثمان. **تاريخ اليهود**. ج2. (ص:18-19).

إرادة قومهم الذي يُكتب له أو عنه. ومن هنا، جاء ذلك الحشد الهائل من المعلومات المكرّرة، والأفكار المتعارضة والمتناقضة معَ بعضها في أسفار العهد القديم.

ومهما يكن من أمر، ورغم أنّ اليهود بات لهم موطئ قدم في مدينة القدس في زمن حكم الملك أَرْتَحْشَشْتَا الفارسي، غير أنّ اليهود ساعدوا اليونانيين فيما بعد في الاستيلاء على القدس[1]، ثمَّ انقلب اليونانيون على اليهود في عهد الملك السلوقي أنطيوخس الرابع (175-164 ق.م)، إذ دمّر الهيكل ونهب كل ما فيه، وأجبر اليهود على اعتناق الوثنيّة اليونانيّة، وعيَّن عليهم حكّامًا اشتهروا بشدة بغضهم لليهود[2].

ولم يكن لليهود في تلك الآونة كيان سياسي مستقل، وإنّما ذابوا داخل البوتقة السوريّة الكبرى. ورغم أنّ الكاهن الأعظم لمعبد القدس أصبح بمثابة الأب الروحي لأهل يهوذا، إلّا أنه في الفترة الأولى من الحكم اليوناني لم يوجد حاكمًا إداريًّا مستقلًا ليهوذا، ولا سلطة سياسيّة أو إداريّة للمنطقة التي لم يرد لها ذكر في كتابات المؤرخين اليونان المعاصرين لتلك الأحداث، ناهيك عن هجرة أعداد كبيرة من اليهود من فلسطين للاستقرار في البلدان الأخرى[3]. وكانت قد اندلعت

(1) الدباغ. **بلادنا فلسطين**. ج1. (ص:593-94).

(2) المرجع السابق. (ص:599)؛ الحوت. بيان نويهض (1991). **فلسطين: التاريخ السياسي**. (ص:31).

(3) عثمان. **تاريخ اليهود**. ج2. (ص:30).

ثورة دينيّة يهوديّة ضد الحكم اليوناني سُمّيت بالثورة المكابيّة أواخر عام 167 ق. م، أدّت لإضعاف وضعهم السياسي في القدس، بعد أن هاجم أنطيوخس الرابع المدينة، ثمَّ أباحها للقتل والنهب، وحرّم على اليهود تأدية الشعائر الدينيّة، واحترام يوم السبت، والختان، وأحرق النصوص الكتابيّة، ثمَّ أمر بتأدية عبادة الإغريق للإله (زيوس) في حرم المدينة، كما فعل من قبل في معبد اليهود السامريين في(جرزيم)[1]، واعتبار معبد القدس معبدًا يونانيًّا يتم فتحه أمام جميع الشعوب للتعبّد فيه، وما يصاحب ذلك من وضع أصنام تلك الشعوب داخل المعبد، وذبح الخنزير أمام المذبح[2].

وبوصول الرومان إلى بلاد الشام واستيلائهم على القدس وفلسطين، دخل التاريخ الإسرائيلي مرحلة انتقالية مهمَّة، أدّت بعد ذلك إلى حدوث تغييرات جوهريّة في الاعتقادات اليهوديّة نفسها، خاصة بعدما بدأت الشريعة المسيحيّة تطالب الأمم جميعًا بالإيمان بدعوة المسيح والتوحيد، وتنكر فكرة الشعب المختار. ولقد تملّق المكابيون اليهود الرومانَ الحكامَ الجددَ في بداية انتشار نفوذهم في الشام؛

(1) جارودي. رجاء (1986). **فلسطين أرض الرسالات الإلهية**. (ص:162).

(2) عثمان. **تاريخ اليهود**. ج2. (ص:44-45).

ومعَ هذا فقد انتهى أمرُ المكابيين تمامًا بحكم الرومان للبلاد، وصار إقليم يهوذا إقليمًا رومانيًّا[1].

ثمَّ وقع الانفجار وكان عبارة عن خلافٍ بين اليهود والرومان في ربيع عام 66 م، وكان أشبه ما يكون بثورةٍ عارمة على الحكم الروماني[2]. فقد بدأ اليهود بمهاجمة الحاميات الرومانيّة، الأمر الذي اضطرَّ الرومان إلى إرسال جيشهم لمقاتلتهم. ففي عام 70 م، شدّد القائد الروماني تيطس الحصار حول قلعة القدس، وأدّى الحصار إلى انتشار المجاعة والمرض؛ فدخل تيطس القدس وأحرق الهيكل الذي بناه هيرودوس الكبير، ثمَّ استولى على قلعة جبل صهيون، ودمَّر القدس، وأصبحت يهوذا ولاية رومانيّة، كما أمر بحلّ التنظيمات السياسيّة والدينيّة اليهوديّة، وفرض عليهم ضريبة الرأس السنويّة ومقدارها ديناران رومانيّان، يتم دفعها لحساب معبد (جوبيتر الكابيتولي Jupiter Capitolonus) إله الرومان، إمعانًا في إذلال اليهود بعد حرمانهم من الامتيازات السابقة[3].

---

(1) المرجع السابق.(ص:51)؛ الحوت. **فلسطين: التاريخ السياسي**. (ص:32)؛ جارودي. **فلسطين أرض الرسالات الإلهية**. (ص:165).

(2) سوسة. **العرب واليهود في التاريخ**. (ص:325-326).

(3) الناصري. سيد أحمد (1991). **تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري**.(ص:189-190)؛ علي. عبد اللطيف أحمد (1988). **مصر والإمبراطورية الرومانية**. (ص:144).

لقد كان تدمير القدس على يد تيطس تدميرًا تامًّا، لدرجة أنّ اليهود أنفسهم نسوا إذا ما كان المعبد قد بُني على التلة الشرقيّة أو الغربيّة في القدس. وقد فشلت جميع المحاولات لإعادة بنائه استنادًا إلى وصف التوراة، وتمَّ منع البقيّة الباقية من اليهود من الاقتراب من القدس التي لم تعد عاصمتهم، وزالت اليهوديّة كدولةٍ سياسيّةٍ من الوجود[1]، وقد أعاد الرومان بناء المدينة من جديد على الطراز الروماني، وباسمٍ روماني هو (إيليا كابتولينا Aelia Capitolina)، وجعل فيها معبدًا لإله الرومان (جوبتر الكابيتوليني)؛ وبذلك جعل من القدس مدينةً مختلفةً تمامًا عن نظرة اليهود إليها، وحوّلها إلى مستعمرةٍ رومانيّةٍ خالصة، ما أدّى لتمرُّد اليهود خريف عام 132 م، بقيادة متطرّف يهودي يُسمى سمعان (سيمون باركوخبا). وقد تمَّ قمع هذا التمرّد بقسوةٍ بالغة عام 135 م، بعد حربٍ طاحنة استمرّت عامين، فتفرّق اليهود هائمين على وجوههم، فرحل بعضهم إلى الحجاز واليمن ومصر، بينما عادت فلسطين إلى الرومان بعدما تناقص عدد اليهود فيها حتى كاد ينقرض تمامًا [2]، وسمح الرومان- لاحقًا- للمسيحيين بالإقامة في القدس، شريطة ألّا يكونوا من أصلٍ يهودي[3]. وبذلك، انتهى الوجود اليهودي تمامًا من فلسطين ومدينة القدس،

(1) حتّي. **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**. ج1. (ص:376).

(2) الناصري. **تاريخ الإمبراطورية الرومانية**. (ص:254- 257-258).

(3) الحوت. **فلسطين: التاريخ السياسي**. (ص:32).

حتى سمح لهم المسلمون- لاحقًا- بالإقامة فيها؛ كنوعٍ من التسامح الديني الذي اتصف به المسلمون تجاه أتباع الشرائع السماويّة الأخرى.

نتائج الدراسة وتوصياتها:

أولًا: نتائج الدراسة

يمكننا التوقّف عند بعض النتائج التي توصّلت لها الدراسة، ومنها:

1. إنّ وجود بني إسرائيل في فلسطين في العصور القديمة، كان مؤقّتًا وطارئًا، ولم يتخذ صفة الديمومة على الإطلاق.
2. لمّا كانت الأرض تُعتبر هي الأساس في المشروع الاستيطاني اليهودي، كان لا بدَّ من ترجمته على أرض الواقع، من خلال الأرض المنوي الاستيلاء عليها واستيطانها والمتمثّلة بفلسطين.
3. نفت بعض الدراسات الحديثة أنْ يكون داود- عليه السلام- قد استولى على مدينة القدس، واتخذ منها عاصمةً لحكمه. كما أثبتت هذه الدراسات أنّ مدينة القدس لم تخضع إلّا للفرعون المصري تحتمس الثالث الذي سبق داود بنحو خمسة قرون.
4. عندما استولى الملك البابلي نبوخذ نصّر على مدينة القدس، استولى عليها من سكّانها اليبوسيين الكنعانيين، وليس من بني إسرائيل.
5. كان أول استقرار رسمي لليهود الذين تسمّوا بهذا الاسم بدلًا من اسم بني إسرائيل فى مدينة القدس، خلال فترة الحكم الفارسي لفلسطين زمن حكم

الملك أَرْتَحْشَشْتَا الأول، حيث تمتّعوا في ذلك العهد بنوع من الحكم الذاتي، وبعض الامتيازات الخاصة بحريّة ممارسة شعائرهم الدينيّة.

6. رغم أنّ الدعوة السماويّة التي نزلت على موسى- عليه السلام- كانت خارج فلسطين وفي القلب منها مدينة القدس، إلّا أنّ كتبة العهد القديم عندما دوّنوا الأسفار المغايرة للأسفار التي نزلت على موسى، اختاروا مدينة القدس- تحديدًا- لتكون مركزًا دينيًّا مقدّسًا لليهود، رغم عدم إجماع جميع اليهود على قدسيّتها.
7. إنّ وجود اليهود في مدينة القدس في العهدين اليوناني والروماني لم يتعدَّ تمتّعهم بنوعٍ من الحكم الذاتي، كما كان الشأن خلال فترة الحكم الفارسي لفلسطين.
8. إنّ إقامة اليهود الطارئة في مدينة القدس عبر العصور، لا يمنحهم حقّ الادّعاء بملكيّتها.

ثانيًا: توصيات الدراسة

ومن التوصيات المناسبة التي تراها الدراسة:

1. ضرورة أنْ يعمد الباحثون العرب للبحث والتنقيب في تاريخ القدس، لإثبات الأحقيّة العربيّة بهذه المدينة.
2. ضرورة التواصل معَ المحافل الدوليّة كافة، وذلك لكشف الزيف الإسرائيلي المتمثّل في الادّعاء بأحقيتهم في فلسطين ومدينة القدس.

المصادر والمراجع

أولًا: الكتب المقدسة:

القرآن الكريم.

العهد القديم.

ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة

إبراهيم. معاوية (1990). ***فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد***. الموسوعة الفلسطينية. القسم الثاني. الدراسات التاريخية. ط1: بيروت.

إبراهيم. موسى مطلق (1994). ***وعد التوراة من أبرام إلى هرتزل***. ط1. بيروت: مريخ للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن حزم. أبو علي أحمد (ب.ت). ***الفصل في الملل والأهواء والنحل***. ج1. القاهرة: مكتبة السلام العالمية.

جارودي. رجاء (1986). ***فلسطين أرض الرسالات الإلهية***. ترجمة: د. عبد الصبور شاهين. القاهرة: مكتبة دار التراث.

جارودي. رجاء (1996). ***الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية***. ترجمة: حافظ الجمالي وصبّاح الجهيّم. ط2. بيروت: دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع.

حتّي. فيليب (1958). ***تاريخ سورية ولبنان وفلسطين***. ج1. ترجمة: د. جورج حداد وعبد الكريم رافق. بيروت: دار الثقافة.

حمدان. عبد المجيد (1993). ***الوعد في التوراة***: القدس.

الحوت. بيان نويهض (1991). ***فلسطين: التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (1917)***. ط1. بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر.

الدباغ. مصطفى مراد (1965). ***بلادنا فلسطين***. ج1. القسم الأول. ط1. بيروت: منشورات دار الطليعة.

سوسة. أحمد (1978). ***ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق***. ط1. بغداد: مركز الدراسات الفلسطينية. جامعة بغداد.

طعيمة. صابر عبد الرحمن (1972). ***اليهود بين الدين والتاريخ***. ط1. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

طومسون. توماس (1995). ***التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي***. ترجمة: صالح علي سوادح. ط1. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع.

عبد الرحمن. عبد الهادي (1994). ***التاريخ والأسطورة: الحراك الثقافي في المنطقة العربية قديمًا، نقدٌ وبناءات تصورية***. ط1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

عثمان. أحمد (1994). ***تاريخ اليهود***. (4 أجزاء). ج1. القاهرة: مكتبة الشروق.

عطار. أحمد عبد الغفور (1974م (1394ه). ***عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين***. ط1. صيدا – بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

علي. عبد اللطيف أحمد (1988). ***مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية***. القاهرة: دار النهضة العربية.

مصطفى. شاكر (15 أبريل 1988). ***وللأساطير أيضًا ثمنها الباهظ جدًا!***. كتاب العربي. الفلسطينيون من الاقتلاع إلى المقاومة. الكتاب (19). الكويت.

مهران. محمد بيومي (1995). ***دراسات تاريخية من القرآن الكريم (1). في بلاد العرب***، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

الناصري. سيد أحمد علي (1991). ***تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري***. ط2. القاهرة: دار النهضة العربية.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

De Vaux (Roland) (1978). The early history of Israel to the Exodus and covenant of Sinai. Trans. By: David Smith. 2 vols. vol. 1. London: Darton Longman & Todo.